



تسرب قبل أسبوع خبر عن لقاءات سرية جمعت بين جبهة النصرة ووفد روسي في قرية "أبو دالي" بريف حماة الشرقي. وهذه القرية الصغيرة تكاد تكون منطقة حكم ذاتي (أو "منطقة حرة" كما يُقال) يحكمها الشبيح وعضو مجلس الشعب السوري السابق أحمد الدرويش الذي يقود عصابة تابعة لما يسمى "جيش الدفاع الوطني"، وهي أحد ثلاثة معابر تربط مناطق النظام بالمناطق التي تسيطر عليها جبهة النصرة في ريفي إدلب وحماة (أبو دالي والخوين والسعن) ومن المعروف أن النصرة تمنع أي فصيل من القيام بأي عمل عسكري يستهدف تلك المعابر.

وقد تم خضعت المجتمعات -كما تسرب- عن اتفاق يسمح للشرطة العسكرية الروسية بدخول قريتي الفوعة وكفريا، وفي وقت لاحق نشر ناشطون في المناطق المجاورة أنباء عن مراقبة قوة من جبهة النصرة لقافلة عسكرية روسية دخلت القررتين المحاصرتين.

* * *

ربما كان الخبر صحيحاً وربما لم يكن، غيرَ أن ما حصل بعد ذلك يدعو إلى التأمل والاستغراب. تحركت عصابة الجولاني باتجاه معاقل النظام في حماة، في الجبهة نفسها التي شهدت محرقتين سابقتين لعناصر النصرة وإخفاقتين مخزيتين لقيادتها العسكرية، وعلى الفور جاء الرد من الطيران الحربي لروسيا والنظام.

كان المتوقع أن تتلقى معاقل جبهة النصرة الضربات الرئيسية وأن تتعرض معسكراتها ومقراتها ومستودعاتها للقصف والتدمير، وهي موقع معروفة مكشوفة لا تخفي على المدنيين فضلاً عن طيران الاستطلاع. إلا أن شيئاً من ذلك لم يحصل، وبدلًا منه اقتصرت الضربات المدمّرة على المنشآت الخدمية والمدنية، فُحصّفت مراكز الدفاع المدني في كفرنبل والتمانعة

وكان شيخون، ودُمِّر الفرن الآلي في كفرنبل واستهدفت مدارس في معربيتا والهبيط، وكان الأسوأ هو قصف وتدمير المستشفيات، مستشفى حاس ومستشفى أورينت في كفرنبل ومستشفى التوليد في التح ومستشفى الرحمة في خان شيخون.

الأكثر غرابة هو أن الضحية الكبرى للضربات الجوية كانت المناطق التي قاومت مشروع الغزو والاحتلال الجولياني في إدلب، فقد بلغ عدد الغارات حتى كتابة هذه السطور 106 غارات كان نصفها تماماً (53 غارة) من نصيب ثلاث مدن فقط، هي كفرنبل و Khan Shihoun ومعرة النعمان. بالإضافة إلى الاستهداف المباشر لمواقع صقور الشام في جبل الزاوية، وهو الفصيل الأشد عداء للجولياني والأكثر صموداً في وجه مشروعه الاحتلالي، مما دفع بعض الناس لطرح تساؤل بريء: هل الجولياني هو الذي زود الطيران الروسي بقائمة الأهداف؟!

* * *

ويبقى السؤال: ما المهدف من هذه العملية العَبَثية التي سنتهي بفشل كارثي وبمحرقه جديدة لعناصر النصرة؟ ربما كان هدفها تعطيل اتفاقية وقف التصعيد كما يرى بعض الإعلاميين، وربما كان تسلیم بعض المناطق للنظام كما تنبأ فريق من الناشطين، وربما كان مقدمةً لاتهام فصائل أحرار الشام وصقور الشام وفيلق الشام بالتوطئ ثم البغي عليها وتصفيتها كما يرى آخرون، وربما كانت خليطاً من ذلك كلّه، ومعه هدف آخر أراه وثيق الصلة بما يجري منذ بعض الوقت في أروقة جبهة النصرة وهيئة تحرير الشام.

سواء أكان الجولياني عميلاً يؤدي دوراً مرسوماً لتكلمه مهمة داعش وتدمير ما بقي من الثورة أم كان مغامراً طائشاً يسعى إلى السلطان فحسب، في الحالتين لا بد له من إزالة عقبتين كبيرتين: خصوم النصرة من الفصائل التي ما زالت تملك بعض القوة، والمتشددين في النصرة نفسها.

سيتم تجاوز العقبة الأولى بتحميل الفصائل مسؤولية فشل عملية حماة، وهي دندنة كرتتها النصرة بعد كل فشل عسكري أعقبه بغيٌ على فصائل الثورة، وقد بدأت بوادره مع بداية انكسارهااليوم، ولا ريب أن مساعدة "الأصدقاء" ستكون مفيدة في هذا السياق، ولعل هذا يفسر استهداف صقور الشام في القصف الروسي الأخير.

العقبة الثانية ستكتفى بها "المحمرة" نفسها، فقد دفع الجولياني إلى الصحف والأمامية في معركة حماة بأكثر عناصره تطرفاً، وعلى رأسهم عناصر من عصابة جند الأقصى تحملوا القدر الأكبر من خسائر الهجوم الفاشل. بالإضافة إلى حملة اغتيال الشرعيين المعارضين التي بدأت منذ بعض الوقت، ويبدو أنها ستستمر حتى تستأصل أعداء الجولياني وخصومه في داخل الجبهة والهيئة، ولا سيما "الشرعرين" الذين يعارضون سياسته البراغماتية ولهم قدرة على التأثير في المقاتلين.

* * *

سواء أكان الجولياني عميلاً للأعداء أم لاعباً يظن أنه يلعب بهم فيما هم -في الواقع- يوظفونه ويلعبون به، في الحالتين سيفني معارضيه ويتخلص ممن تسول له نفسه الوقوف في وجه مشروعه البراغماتي للحكم والسلطان، وسوف يبقى معه "جيش النصرة" الذي شكله على أساس الولاء الشخصي كما أسس الأسد سرايا الدفاع ذات يوم وكما أسس صدام فدائبي صدام.

سوف يسعى الجولياني لاستئصال كل الفصائل وتنصيب نفسه إمبراطوراً على إدلب، سيحاول تنفيذ أقدر مهمة في تاريخ الثورة: تعطيل المشروع التركي الساعي لإنقاذ إدلب من المحمرة (وأرجو أنه سيفشل بإذن الله) ثم سيرحل غير مأسوف عليه إلى مذبلة التاريخ.

من حساب الكاتب على فيسبوك

المصادر: